الإعجاز التصويري لمشاهد القيامة في سورة الأنعام

دراسة تحليلية

أ.د. محمد توفيق الدغمان
كلية الآداب - جامعة الموصل

سهام قاسم العبيدي

أ.م.د. زهراء خالد العبيدي
كلية الآداب - جامعة الموصل

فحوى البحث

بحث يجرد جانباً مهماً في سورة الأنعام المباركة يمثل في رصد مشاهد القيامة فيها من خلال الآيات التي تشير الى ذلك. وقد أثبت البحث بمنهجه التحليلي القائم على بيان تصريف القرآن الكريم لتلك المشاهد، بما فيها من خصائص، اساليب القرآن المتنوعة مابين إنشاء وإخبار وإظهار وإضمار وتكلم وغَيْبة، وخطاب ومعنى وحضور واستقبال وتمنٍّ ووعد ووعيد، مما يثبت أن القرآن، وبحق، معجزة حقيقية بخصائص أساليبه ومشاهد تعبيراته.

الملخص

إنّ من أساليب القرآن العالية في النظم والترتيب عرض مشاهد القيامة موزعة في سوره وآياته بما ينفي عنها التكرار، كل ذلك بأداء تصويري غايةً في البيان؛ لإثبات عظمة مقصودة من دلائل التوحيد وأصول العقيدة وأركان الإيمان، وقد تمثل ذلك في سورة الأنعام من السُور المكية في أهدافها ومقاصدها، تنوعت فيها مشاهد القيامة تنوعاً مناسباً لتلك الأهداف والمقاصد. ومن دقة تصوير تلك المشاهد الخمسة ـ إحصاءً ـ في سورة الأنعام ما أورده البيان القرآني من حسن اختيار الأساليب وفق المعاني الذهنية والصور الشاخصة والحوادث الواقعة والجدل التصويري، والنماذج الإنسانية كلّها في صور حيّة شاخصة تخاطب الحس والوجدان والقلب والضمير لإثبات البعث والجزاء والثواب والعقاب. والبحث في محتواه عرض لتلك المشاهد بأساليبها التي تمثلت بأوجز تعبير وأعمق إيحاء وأغزر دلالة، وأجمل تناسق مع الطريقة المُراد تصويرها، وهو إبداع في العرض وقوة في الأداء لإحداث أعمق التأثير، وقد أثبت البحث بمنهجه التحليلي القائم على بيان تصريف القول في تلك المشاهد بما فيها من خصائص أسلوب القرآن المتنوعة ما بين إنشاء وأخبار وإظهار وإضمار وتكلم وغيبة وخطاب ومضي وحضور واستقبال واستفهام وتمنٍ ووعد ووعيد... أنّ القرآن معجزة حقاً بخصائص أساليبه ومشاهد تعبيراته؛ كل ذلك في نسق فني بديع مقنع بالحجة والبرهان، متناسب في موضوعه وأهدافه عمّا ينبئ عنه القرآن.

مقدمة:

يدعى اليوم الذي يُحشر فيه الناس للحساب (يوم القيامة) مُثيراً في النفس هذه الحركة المائجة المضطربة، التي يبعث فيها الأموات من أجداثهم كالجراد المبثوث[1]، وقد ذُكِرَ هذا اليوم سبعين مرة في القرآن الكريم، بطرق شتى وأساليب مختلفة، منوعاً بيانه نكتفي بذكر بعضها، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ

(١) من بلاغة القرآن: ٢٨٩.

بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٣]، وهكذا تنوع ذكر يوم القيامة في القرآن الكريم، فكل مرة له دلالة خاصة تختلف عنها في غيرها من الآيات، التي ورد تصريفها فيها.

وقد أكثر القرآن الكريم من تصريف الآيات الدّالة على البعث والجزاء وتحققها في سور وآيات كثيرة عن طريق مشاهد القيامة المتعددة موزعة على سوره، ولا سيّما المكية بوصفها ركناً أساسياً من أركان العقيدة الإسلامية بالحجة والبرهان الدامغ، مثبتاً ذلك اليوم وتحققه، ومبيناً جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين، فينوع في تصوير مشاهد القيامة لتقريب ذلك اليوم إلى الأذهان بأسلوب بديع وحكمة بالغة.

والمتأمل لهذه المشاهد لا يجد لها وجهاً للتكرار لاختلاف سياقاتها ونظمها وفواصلها وإيحاءاتها الخاصة، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ [سورة الواقعة: ١]، وتارةً يذكر القرآن الكريم: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [سورة الحاقة: ١٣]، وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم بعرضه التنويع لا التكرار وإلى ذلك أشار سيد قطب بقوله: ((والعجيب حقّاً أنّ تعدّد هذه المشاهد، وأساسها واحد لم ينشئ نوعاً من التكرار، فكل مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته، وذلك لون من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق الملايين من الناس))[٢]، وقال في موضع آخر: ((وهكذا تتحد المشاهد العامة، ولكنها تختلف في جزئياتها بما يحقق الجدّة، وينفي التكرار في سُور القرآن))[٣]، وهكذا نجد أنّ القرآن الكريم قد وجّه عنايته البالغة بمشاهد القيامة والبعث والجزاء، وسر العناية بهذا اليوم الآخر يعد الدعامة الأولى في بناء الدين كله، وإذا إنهار هذا الأساس انهار الدين[٤].

وعلل محمد قطب سبب احتفال السُّور المكية بمشاهد القيامة، والحديث عن البعث والحساب، لضرورة تقرير العقيدة الإسلامية وترسيخها في نفوس المؤمنين حتى تستقيم حياتهم في الأرض،

(٢) مشاهد القيامة: ١٠.
(٣) م. ن: ١٢٤.
(٤) من بلاغة القرآن: ٢٨٩.

لأنها -كما علم الله -لا تستقم بغير هذه العقيدة مستقرة راسخة عميقة، ولإنكار العرب للبعث، فقد جادلهم أحياناً وواجهم أحياناً أخرى بأسلوب آخر أفعل في التأثير، هو تصويرهم أنفسهم في نار جهنم يشتوون فيها، أو بين يدي الله يوم البعث يسألهم فيجيبون والخزي يلفهم ويشملهم: إنهم كانوا كافرين وكانوا خاطئين، أو يعرض عنهم صفحاً، ويمضي ويستعرض مشاهد القيامة غير ملتفت إليهم، وإن كان المقصود في النهاية هو التأثير فيهم وإقناعهم[٥].

وهناك سُور خصصها القرآن من أولها إلى آخرها لهذه القضية وما يتصل بها من الوعد والوعيد والحساب والجزاء وإثباته، وهناك صور أخرى شغلت الحيز الأكبر منها، هذا إلى جانب الآيات الأخرى الموزعة في جلّ سُور القرآن، وفي سورة الأنعام من التصريف البديع والحكمة الإلهية البالغة، ممّا فصّلت فيه السورة الكريمة من الأركان الأساسية للعقيدة أتمّ تفصيل من إيمان بالله وإثبات صفاته -تعالى -والاستدلال على ذلك بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة، وإثبات النبوة والرسالة وإثبات البعث والجزاء، فتصرفت في عرض ذلك بطرق شتى وأساليب مختلفة، وذلك لأن الأسلوب القرآني يدعها في كل عرض جديد[٦]، وقد اكتسبت هذه السورة شخصيتها المميزة لتنوع طرق عرضها بطريق السؤال والجواب إفحاماً للمعاندين والمكذبين، وتجلى ذلك فيها من عرضها لمشاهد القيامة في ترابط قوي ومتين لإثبات التوحيد الخالص لله تعالى، وتسلية لرسول الأمين محمدﷺ عن تكذيب المكذبين وإلزامهم الحجة.

تنوع أساليب مشاهد القيامة في سورة الأنعام

لقد تنوعت المعاني والأساليب الدّالة على البعث والجزاء في سورة الأنعام بما لا يدع مجالاً للشك في إثباتها وتحققها، مصوّرة إياهما في بعض المشاهد كأنه أمرٌ حاضر الآن، فعرضت هذه السور

(٥) دراسات قرآنية: ٦٩.

(٦) في ظلال القرآن: ٢ / ١٠٠٤.

خمسة مشاهد من مشاهد يوم القيامة[٧]، ويحمل كلٌ منها جديداً لا يوجد في غيره من المشاهد الأخرى، فالإشارة جاءت في سياق إثبات النبوة، ولفت النظر إلى عاقبة المكذبين تأكيداً للبعث وتحققه، إذ قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢].

مشاهد القيامة في سورة الأنعام

١- ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الآيتان: ١٥ -١٦].

٢- ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [الآيات: ٢٢ -٢٤].

٣- ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [الآيات: ٢٧ -٢٩].

٤- ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الآيتان: ٣٠ -٣١].

٥- ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي

(٧) وقد عرضها سيّد قطب في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) مستعرضاً فيها أحداث السورة نفسها دون توضيح سبب تنوع أساليبها ومعانيها. ينظر: ص١٢٩.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الآيات: ١٢٨ - ١٣٠].

المشهد الأول

نجد أنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ جاء في سياق نفي الشرك والوثنية وإثبات التوحيد لله تعالى، موجهاً الخطاب للرسول ﷺ أن يعلن خوفه من عصيان ربِّه لئلا يعرض نفسه لعذاب يوم عظيم الهول والشدّة، وقد فسّر ابن عطية اليوم العظيم بيوم القيامة[٨]، وهذا العذاب من الهول والشدة بحيث يعد مجرد صرفِهِ رحمة وفوزاً مبيناً[٩]، وقد تنوع الأسلوب هنا ما بين الإخبار المؤكد المتجلي بخوفه ﷺ من عصيان ربه، وخوفه أيضاً من عذاب يوم القيامة، وبين أسلوب الشرط المقترن بـ«إنّ» التي تفيد الشك وجيئت بصيغة الماضي إبرازاً لها في صورة الحاصل على سبيل الفرض[١٠]، وجاءت المعاني منوعة ما بين صرف العذاب الموجه إلى الرسول ﷺ وإثبات الرحمة له لصدق نبوته ورسالته فجيء بالمعنى المناسب في مقامه المناسب، وقد سبقت الرحمة بطريق الاستئناف لتهويل العذاب[١١]، وهناك انتقال أسلوبي في هذا المشهد ما بين الأمر والإخبار المؤكد إنكار الرسول ﷺ في وجه المشركين في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ثم ينتقل إلى الأسلوب الشرطي، فيعطف ثلاثة أساليب شرطية بعضها على بعض في قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٧]، ثم ينتقل إلى أسلوب الإظهار والإضمار، بإظهار الفاعل والمفعول به محذوف أي العذاب في قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ فجعل ضمير عنه للعذاب أي الانسان يصرف الله عنه العذاب[١٢]، وقرن الرحمة هنا بالفوز

(٨) المحرر الوجيز: ٢ / ٢٧٣.
(٩) مشاهد القيامة في القرآن: ١٥١.
(١٠) روح المعاني: ٧ / ١٤٢.
(١١) م. ن: ٧ / ١٤٣.
(١٢) روح المعاني: ٧ / ١٤٢.

للإيذان بعلو درجة ما أشير إليه، كلّ ذلك لخصائص بلاغية تدعو للتعظيم أو التوكيد والإيضاح.

المشهد الثاني

جاء في سياق أمر الرسول ﷺ بالتبرؤ من الشرك، وعرض دلائل النبوة وصدق الرسالة، فبيّن الله –تعالى– أنه يجمع الناس جميعاً يوم الحساب، ثم أردف السؤال للمشركين عن شركائهم الذين يدّعون إنهم أرباب فقال عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[سورة الأنعام: ٢٢]، ثم انتقل إلى بيان ردّ المشركين على السؤال الذي يوجه إليهم يوم القيامة على سبيل التوبيخ والاحتجاج، فأقسموا بالله كذباً ما كانوا مشركين، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٢٣]، ثم لفت نظر الرسول ﷺ إلى كذب هؤلاء المشركين على أنفسهم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[سورة الأنعام: ٢٤]، يقول أبو حيان: ((النظر قلبي، وكيف منصوب بـ﴿ كَذَبُوا ﴾ والجملة موضع نصب بـ﴿ انظُرْ ﴾، لأنّ أنظر معلقة وكذبوا ماضٍ، وهو في أمر لم يقع، ولكنه حكايةً عن يوم القيامة ولا إشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل تحقيقاً لوقوعه ولابدّ))[١٣]، والذي نجده أنه لا تعارض بين هذه الآيات، فكلها جاءت للتخويف والتهويل والتوبيخ والتقريع، ففي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[سورة الأنعام: ٢٢]، أي ويوم نحشر كل الخلق ونقول لهم كان كيت وكيت، وقد قدّر الفعل المتروك هذا ماضياً ليدل على التحقق[١٤]، وعطف عليه بـ﴿ ثُمَّ نَقُولُ ﴾ على وجه التوبيخ، واستمرت المحاورة للسؤال عن غير الحاضر من شركاء المشركين فيقول عز وجل: ﴿ أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ والمُراد منه حشر المشركين وأزواجهم ونظائرهم بما يقتضي حضورهم معهم في المحشر[١٥]، ثم ينتقل السياق إلى إنكار المشركين ليوم

(١٣) البحر المحيط: ٤ / ١٠٠.
(١٤) الكشاف: ٣ / ٢٢٢.
(١٥) روح المعاني: ٧ / ١٥٥.

البعث التبرئ من الشرك وانتفاء التدين به وإجابة النظم الكريم لهم ببيان كذبهم في الدنيا المشابه لكذبهم في الآخرة ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾.

المشهد الثالث

أمّا المشهد الثالث فبيّن حال المشركين يوم البعث والجزاء حين يقفون على النار؛ إذ يتمنون العودة إلى دار الدنيا؛ ليتوبوا عن التكذيب بآيات الله، ويكونوا من المصدقين بالله ورسله، ويبيّن كذلك إنهم في هذا الموقف يظهر لهم ما كانوا يخفونه في الدنيا من أعمالهم السيئة، وحالهم لا يتغير حتى لو ردّوا إلى الدنيا، لرجعوا إلى الكفر والجحود، والعمل بما يسخط الله -تعالى- حاكياً تكذيبهم وإنكارهم ليوم البعث والجزاء، إذ يقول تعالى: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٧ -٢٩]، فسوّق هنا النظم الجليل لتهويل أمر النار وتفظيع حال أهلها، وقد ذكر وقوفهم عليها وأشير إلى أنه اعتراهم عن ذلك من الخوف والحيرة والدهشة مالا يحيط به الوصف والخطاب للرسول ﷺ أو إلى كل من له أهلية ذلك قصداً إلى بيان سوء حالهم وبلوغها من الشناعة إلى حيث لا يختص بها راءٍ دون راء.

وشروع ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المتناقض لِما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية[١٦]، يمثلهم موقوفين على النار بلا إرادة ولا اختيار تعتلج نفوسهم بالخوف وترتجف مفاصلهم من الرهب فيقولون: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وإنهم ليخافون ولا يستحون، ولو ردّوا لعادوا لِما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون[١٧]، فتتنوع أساليب هذا المشهد وتنتقل ما بين الشرط مرة والنداء ثم العطف... الخ، ومن هذه الأساليب قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٠] استخدم لو الشرطية وحذف جوابها لتذهب نفس السامع

(١٦) روح المعاني: ٧/ ١٢٧.
(١٧) مشاهد القيامة: ١٣٠.

كل مذهب فتكون أدخل في التهويل ومفعول ترى محذوف دلّ عليه الجواب وتقديره ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً[١٨]، فالتمني بالرجوع إلى الدنيا والتعجب من فظاعة حال الموقوفين على النار، ثم جيء بالفعل ﴿وُقِفُواْ﴾ بصيغة الماضي والمعني به الاستقبال للتنبيه على تحقيق وقوعه لصدوره ممن لا خلاف في خبره، ونجد أنه استخدم ﴿عَلَى﴾ وهو استعمال مجازي لإفادة قوة الاتصال بالمكان.

ثم ينتقل إلى أسلوب العطف بالفاء المفيدة للتعقيب في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لأنّ ما شاهدوه من الهول قد علموا أنه جزاء تكذيبهم بإلهام أوقعه الله في قلوبهم[١٩]، فقالوا لعظم ما حققوه يا ليتنا نرد: أي إلى الدنيا ﴿يَا﴾ للتنبيه أو للنداء، والمنادى محذوف أي يا قومنا مثلاً، ولا نكذب بآيات ربنا، أي بالقرآن الكريم كما كُنّا نكذب من قبل وتقول أساطير الأولين، وفسّر بعضهم الآيات بما يشمل ذلك والمعجزات[٢٠]، واختلف في إعراب الأفعال الثلاثة فقيل أنها داخلة تحت التمني أي تمنوا الرد ولا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين برفع الأفعال الثلاثة وذهب آخرون إلى نصب نكذب ونكون.. بإضمار أن بعد الواو على جواب التمني[٢١].

ثم لفت الرسول ﷺ إلى بيان حقيقة هؤلاء المشركين فقال: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ قال الزجاج: ﴿بَلۡ﴾ حرف استدراك وإيجاب بعد نفي[٢٢]، وقال ابن عاشور: ﴿بَلۡ﴾ إضراب على قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، والمعنى لأنهم لم يبقَ لديهم مطمع للخلاص.

ثم انتقل إلى الأسلوب الشرطي مرة ثانية لبيان كذب هؤلاء المشركين وعرضه بأسلوب المحاورة، فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ ﴿لَوۡ﴾ شرطية فعل الشرط ﴿رُدُّواْ﴾ وجوابه ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾، وهو ارتقاء في إبطال قولهم حتى

(١٨) الكشاف: ٢ / ١٢.
(١٩) التحرير والتنوير: ٧ / ١٨٤.
(٢٠) روح المعاني: ٧ / ١٢٨.
(٢١) فتح القدير: ٢ / ١٠٨.
(٢٢) زاد المسير: ٣ / ٢٣.

يكون بمنزلة التسليم الجدلي في المناظرة، أي لو أجيبت أمنيتهم ورُدوا إلى الدنيا لعادوا للأمر الذي كان النبيﷺ ينهاهم عنه وهو التكذيب وإنكار البعث[٢٣]، ثم انتقل إلى أسلوب التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، وهو تذييل لِما قبله جيء بالجملة الاسمية الدالّة على الدوام والثبات، أي أنّ الكذب سجية لهم وقد تطبعوا عليها في الدنيا، فلا عجب أن يتمنوا الرجوع ليؤمنوا، فلو رجعوا لعادوا لِما كانوا عليه، فإنّ الكذب سجيتهم.

وقد تضمن تمنيهم وعداً فلذلك صحَّ إدخاله في حكم كذبهم دخول الخاص في العام، لأنّ التذييل يؤذن بشمول ما ذيّل به، فليس وصفهم بالكذب بعائد إلى التمني، بل إلى ما تضمنه من الوعد بالإيمان وعدم التكذيب بآيات الله ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾، ﴿إِنۡ﴾ نافية للجنس والضمير بعدها مبهم يفسره ما بعد الاستثناء المفرغ من إبهامه الإيجاز اعتماداً على مفسره، وجملة ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾، نفي للبعث، وهو يستلزم تأكيد نفي الحياة غير حياة الدنيا، لأنّ البعث لا يكون إلاّ مع الحياة، وإنّما عطفت ولم تفصل فتكون مؤكدة للجملة قبلها، لأنّ قصدهم إبطال قولﷺ أنهم يحيون حياة ثانية[٢٤].

(٢٣) التحرير والتنوير: ٧ / ١٨٦.

المشهد الرابع

الخطاب للرسولﷺ يشترك فيه كل من يسمع هذا الخبر قصداً إلى بيان حال المشركين وهم موقوفون على ربهم يعلو الخزي وجوههم وتستشعر الخجل نفوسهم، ثم يوجه إليهم الخطاب المخجل: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [سورة الأنعام: ٣٠] فيا له من سؤال، ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ في خضوع واستسلام ثم لم يزد على أن قال: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

ولقد كانوا في وقفتهم يحملون أوزارهم على ظهورهم لا تحط عنهم ولا يستريح كواهلهم إلى أن يُساقوا إلى الجحيم بعد صدور الأمر العظيم[٢٥]، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾

(٢٤) التحرير والتنوير: ٧ / ١٨٧.
(٢٥) م. ن: ٧ / ١٨٤.

﴿ وُقِفُواْ ﴾هنا تمثيل لحضورهم في المحشر عند البعث تشبيه حالهم في الحضور للحساب بحال عبد جنى فقبض عليه فوقف بين يدي ربّه وبذلك تظهر مزيّة التعبير بلفظ ربهم دون لفظ الجلالة[٢٦]، والوقوف هنا بمعنى الاطلاع وقد تعدى بـ﴿ عَلَى ﴾ -وفي الكلام مضاف مقدر، أي وقفوا على قضاءِ ربهم أو جزائه[٢٧].

ثمَّ نتقل إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ ﴾، نبدأ بأُولى الأساليب الواردة في الآية الكريمة، جملة﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ ﴾ استئناف بياني وإشارة إلى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب[٢٨]، لأنّ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ قد آذن بمشهد عظيم مهوّل[٢٩]، فكان من حق السامع أن يسأل ماذا لقوا من ربِّهم، فالاستفهام تقريري، والهمزة للتقريع على التكذيب وجوّز أن تكون جملة ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ ﴾، في موضع حال أي قائلاً أليس هذا أي البعث وما يتبعه بالحق، أي حقاً لا باطلاً كما زعمتم.

ثم ننتقل إلى جواب هؤلاء المشركين في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ أجابوا بالحرف الموضوع لإبطال ما قبله، وهو ﴿ بَلَىٰ ﴾ فهو يبطل النفي، واستعمال القسم لتأكيد لازم فائدة الخبر، وكذلك لتأكيد اعترافهم للمعترف به، لأنه معلوم لله تعالى، أي نقر ولا نشك فيه، وفصل ﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾على طريقة فصل المحاورات، الفاء للتقريع عن كلامهم أو فاء فصيحة أي إذا كان هذا بالحق فذوقوا العذاب على كفركم، الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كفركم.

ثم نلتمس استعارة لطيفة في قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ لأنّ ذوق العذاب أقوى الحواس المباشرة للجسم فشبّه به إحساس الجلد[٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ

(٢٦) مشاهد القيامة: ١٣١.
(٢٧) التحرير والتنوير: ٧/ ١٨٧.
(٢٨) روح المعاني: ٧/ ١٣١.
(٢٩) التحرير والتنوير: ٧/ ١٨٨.
(٣٠) م. ن: ٧/ ١٨٨.

عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣١] الغالب أن يأتي الخسر بالمعنى الديني في النذير بسوء العاقبة وعذاب الآخرة للكافرين والضالين والمنافقين والمكذبين[٣١].

وهناك استعارة تمثيلية في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ وهي استعارة عن البعث وما يتبعه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ حتى حرف لانتهاء الغاية[٣٢]، الساعة: الوقت المخصوص وهو يوم القيامة، وسميت ساعة لسرعة الحساب فيه، وفسّره بعضهم هنا بوقت الموت[٣٣].

ثم ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ لا يزال سياق الآية يتحدث عن أحوال هؤلاء المشركين وطريقة السؤال والجواب في محاوراتهم في أثناء وقوفهم على النار، وبيان حالهم، إذ تيقنوا من حقيقة الجزاء والعقاب فقالوا جواباً على إذا يا حسرتنا، الحسرة هي التلهف على الشيء الفائت وشدة الندم[٣٤]، وهو نداء للحسرة، وكانت العرب إذا أرادت تعظيم الأمر والتنبيه عليه نادته[٣٥]، وهو نداء مجازي، وهذه استعارة تمثيلية في قوله تعالى: ﴿فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾، والمُراد بها بيان سوء حالهم وشدة ما يجدونه من المشقة، وختم المشهد بقوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ﴿سَاء﴾ قد تكون للتعجب والمعنى أسوأ الذي يزرونه، أو للمبالغة في الندم فتساوي بئس في المعنى والأحكام وهي تذييل مقرر وتكملة له[٣٦].

المشهد الخامس

بدأ بالالتفات لتهويل أمر النار ولبيان حال أهلها وهم أمام مشهد عظيم قد اجتمع فيه الجن والإنس في صعيدٍ واحد، المتبوعون والأتباع[٣٧]، فالخطاب للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ

(٣١) ألفاظ العقاب في القرآن: ١٦١.
(٣٢) إتقان ما يحسن من الأخبار: ١ / ٤٩١.
(٣٣) روح المعاني: ٧ / ١٣١.
(٣٤) زاد المسير: ٣ / ٢٣.
(٣٥) معاني القرآن: ٢ / ٤١٥.
(٣٦) روح المعاني: ٧ / ١٣٣.
(٣٧) مشاهد القيامة: ١٣١.

أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٨]، أي اذكر يوم نحشرهم فـ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوب على الظرفية، والفاعل فيه مقدر وجَوّز أن يكون مفعولاً به لفعل مقدر أيضاً، أي أذكر ذلك اليوم وقد قرأ ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾ بنون العظمة للالتفات لتهويل الأمر، وأكد بـ﴿ جَمِيعاً ﴾ ليعمّ كل المشركين وساداتهم وشياطينهم[٣٨]، وبدأ بتوجيه الخطاب إلى الجن ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ الكلام توبيخ للجن، وفي الكلام أيضاً تعريض بتوبيخ الإنس الذين أتبعوهم وأطاعوهم وأفرطوا في مرضاتهم ولم يسمعوا من يدعوهم إلى نبذ متابعاتهم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾[سورة الأنعام: ١٣٠] فإنه تدرج في التوبيخ وقطع المعذرة. والمعشر هم الجماعة من الناس أمرهم وشأنهم واحد، فالمقصود بالنداء الأشرار من الجن الذين يغوون الناس فإنهم أهل الخطاب، وقوله تعالى: ﴿ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ لاستكثار شدة الإكثار، فالسين والتاء فيه للمبالغة، وهذه جموع الضّالين والغاوين تشهد باستكثارهم من الأتباع فلا يجيبون، إنما ينبري للجواب أولئك التعساء من الإنس[٣٩] يقولون: ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٨]، الأجل مشارفة انقضاء الأمر، ويقال المدة المضروبة للشيء ووقته الذي يحل فيه ويقال المدة المضروبة لحياة الانسان[٤٠]، وفي الكلام استسلام لله أي انقضى زمن الإمهال وبلغنا أجلنا، وفي الكلام تحسر وندامة جيء القول بصيغة الماضي للتنبيه على تحقق وقوعه وهو مستقبل بقرينة ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾، ﴿ مَثْوَاكُمْ ﴾ مثوى: هو اسم للمكان من ثوى بالمكان إذا أقام فيه إقامة سُكنى وإطالة، وقد بيّن الثواء بالخلود لقوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾.

(٣٨) روح المعاني: ٨ / ٢٥.

(٣٩) التحرير والتنوير: ٨ / ٦٦.

(٤٠) التوقيف على مهمات التعاريف: ١ / ٣٧.

ثم قال ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الاستثناء كنايةً يقصد به أنّ الخلود قدّره الله تعالى مختاراً لا مكرهاً عليه، وهو إظهار تمام القدرة ومحض الإرادة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ جملة معترضة بين الجمل المقولة لبيان أن ما رتّبه الله من الخلود رتبه بحكمته وعلمه؛ أو إنها تذييل للاعتراض وتأكيد للمقصود من المشيئة من جعل استحقاق الخلود في العذاب منوطاً بالموافاة على الشرك، ثم ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٩] الكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب[٤١]، وتشمل الآية بطريق الإشارة كل ظالم فتدل على أنّ الله سلّط على الظالم من يظلمه، ثم يوجه السؤال إلى الجميع إنساً وجنّاً: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [سورة الأنعام: ١٣٠] أعاد نداءهم كما يُنادي المندد فيزداد روعاً، والهمزة للاستفهام التقريري، وأكد بـ ﴿مِّنكُمْ﴾ لزيادة إقامة الحجة ووصف اليوم باسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ لتهويل أمر ذلك، فلم يكمن هناك مجال لغير الاعتراف والشهادة على النفس باستحقاق العذاب، استعملت الشهادة بمعنى الإقرار، لأنّ أصل الشهادة الإخبار عن أمر تحققه المخبر وبيّنه[٤٢]، ثم عطف عليها جملة ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فكان هذا هو المصير ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾، وأنك لتشهد الآن هذا الحوار وتسمع السؤال والاستنكار، لأنّ السياق يتحدث عنه كأنه في العيان[٤٣].

يتضح لنا مما سبق أنّ المعاني الدّالة على البعث والجزاء قد تنوعت في سورة الأنعام تنوعاً عجيباً، يحمل كل منها جديداً، لا تكرار فيه، وذلك راجع إلى تنوع الأساليب والمعاني.

(٤١) إتقان ما يحسن من الألفاظ: ١ / ٤٣٩.

(٤٢) التحرير والتنوير: ٨ / ٧٩.

(٤٣) مشاهد القيامة: ١٣١.

نتائج البحث

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- أنّ القرآن الكريم قد وجّه عنايته بمشاهد القيامة وإثبات البعث والجزاء وتحقيقهما في سور وآيات كثيرة، ومنها سورة الأنعام، بطرائق شتى وأساليب مختلفة.
- لقد تنوعت مقاصد الآيات في سورة الأنعام بما فيها مشاهد القيامة، ذلك أنّ الأسلوب القرآني يتجه إلى عدة ألوان، ليقرّب القضية إلى الأذهان، فيعرضها بأساليب مختلفة غاية في الروعة والبيان، ويأتي بالأسلوب المقنع المؤثر، المؤدي للفكرة أبلغ أداء، الذي لا يمكن منعه إلاّ الإقناع.
- إنّ لكل سورة معانيها وأساليبها في عرض مشاهد القيامة، وذلك مما يميزها عن غيرها من المعاني والأساليب، فانتقلت سورة الأنعام في عرض مشاهدها من أسلوب إلى آخر بحسب مقتضيات الأحوال والمقاصد المتحققة.
- إنّ القرآن الكريم صرّف هذه الأساليب ونوّعها تنويعاً بديعاً ما بين تمنٍ واستفهام وشرط وتعجب، وذلك كلّه راجع إلى روعة القرآن الكريم وجلاله وسماته الجمالية التي لا نظير لها، وهذا التنوع الدلالي والأسلوبي يكمن في إعجازه وهو سرّ من أسرار بلاغته.
- إنّ القرآن الكريم حين يصرّف هذه الأساليب، لم يكن يقصد هذه الأساليب لذاتها، وإنما أُريد به وضع السُّور والآيات المعجزة في نسق ألفاظها وارتباط معانيها المختلفة.
- إنّ الآيات الواردة على مشاهد القيامة في سورة الأنعام وإن تنوعت أساليبها اللفظية ومعانيها الدلالية بما ينفي صفة التكرار فيها، إلاّ أنَّ عرضها كان مميّزاً عن غيرها من المعاني والأساليب في السُّور الأخرى.

ثبت المصادر والمراجع

١. إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: محمد بن محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل محمد العربي، الطبعة الأولى، الفاروق الحديثة، القاهرة، (د. ت).

٢. البحر المحيط: أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، الرياض، مطبعة النصر الحديثة، (د.ت).

٣. التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٤. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر ـ دار الفكر، بيروت ـ دمشق، (د. ت).

٥. دراسات قرآنية: محمد قطب، طبعة ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م، دار الشروق- بيروت، دار الثقافة -الدار البيضاء.

٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود أبو الفضل الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٧. زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالث، ١٤٠٤ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

٩. في ظلال القرآن: سيّد قطب، الطبعة الرابعة، الدار العربية للطباعة، بيروت-لبنان، (د. ت).

١٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمد بن عمر الزمخشري، علّق عليه: خليل مأمون شيحة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م، دار المعرفة، بيروت -لبنان.

١١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحابي الفاروق، عبد الرحمن بن ابراهيم الأنصاري، عبد العال السيد ابراهيم، محمد الشافي الصادق العناني، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ -١٩٧٧م.
١٢. مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.
١٣. معاني القرآن الكريم: أبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
١٤. من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

الأطاريح الجامعية:

١. ألفاظ العقاب الأخروي في القرآن الكريم: أطروحة تقدم بها أحمد إبراهيم خضر خلف الى مجلس كلية الآداب بجامعة الموصل، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، بإشراف: الأستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، ٢٠٠١ م.